الجوانب الفنية في فواتح السور القرآنية

د. عبد الكريم الخزرجي

المقدمة:

الحمد لله الذي انزل القرآن, وزينه بأبهى حلل البلاغة والبيان,وجمله بابلغ الألفاظ الحسان,وأتقنه واحكمه فكان أتم مصنفات الزمان.

واصلي واسلم على الناطق بالبيان والداعي إلى الإيمان والإحسان وسيد الخلق من ولد عدنان وعلى آله الكرام وصحبه العظام أما بعد:

فقد كثرت الدراسات القرآنية في العصر الحديث واتجهت اتجاهات عديدة في دراسة جميع المستويات وتناولت بشمولية عظيمة أنواع الموضوعات منها ما لزم اللغة وأساليبها تطبيقا على آيات القرآن ومنها ما جاء معالجا للدراسات التفسيرية والتاريخية والموضوعية ومنها ما تعلق بالإعجاز وإبراز سماته بما اشتمل عليه من موضوعات .

والدراسة التي بين أيدينا هي محاولة لإظهار جانب الإعجاز القرآني في بعض مزاياه التي لا تنفد وعجائبه التي لا تنقطع ,فالدراسة تعنى بالفواتح للسور وتلونها وتنوع خواتيمها وإبراز عملية التناسب البديع بين الفواتح والخواتيم فقد تخلل الدراسة الوقوف عند بعض المسائل اللغوية التي تشبع جانب الإعجاز روعة وجمالا كما وقفت عند الجوانب الفنية في تلك الفواتح وتنوعها واختلافها بما يخدم جانب الإعجاز وضوحا وبيانا كما ركزت الدراسة عند التناسب اللغوي الموضوعي الكائن بين الخواتيم والفواتح وأسال الله تعالى السداد ومن التوفيق .

تنوع الاستفتاح وألوانه الفنية :

عندما نعرج للفن في القرآن فلا نذهب به بعيدا عن الألوان البيانية والأسلوبية والبلاغية المعجزة التي المح إليها أهل التفسير في تفسيرهم للقرآن الكريم ووقوفهم عند فواتيح السور وخواتيمها فقد تنوع الاستفتاح في كتاب الله العزيز ليذهب بالقارئ والمتلقي بعيدا عن السآمة والملل وليزين النص الإعجاز الإلهي المطلق فقد افتتح في بعض الصور بالخبر المتمثل بالثناء على الله تعالى وبعضها بالحروف المقطعة وبعضها

بالجملة الخبرية وبالتعليل أيضاً ,وافتتح في بعضها الآخر بالإنشاء المتمثل بالأمر والاستفهام والنداء والقسم والشرط والدعاء .

الاستفتاح بالخبر :

يقصد بالخبر لغة العلم وخبرت الأمر اخبره إذا عرفته إلى حقيقته والخبر بالتحريك واحد الأخبار[1] وفي الاصطلاح (كل قول أفدت به مستمعا مالم يكن عنده كقولك قام زيد فقد أفدته العلم بقيامه)[2] أو هو ما جاز على قائله التصديق والتكذيب[3]فالخبر ما يصدق فيه المخبر أو يكذب تبعا للواقع فان طابقه فهو الصدق والا فالكذب هذا تعريف الخبر مطلقا .أما الخبر من الله تعالى فلا يحتمل إلا صدقا ويبقى كونه ضميرا في إفادة المخاطب بالخبر أو إلزامه الفائدة وكلا النوعين قد ورد في فواتح السور.

وقد تنوع هذا الخبر تبعا للمناسبة التي جاءت السورة من اجلها فمنه الثناء على الله تعالى بما اشتمل من التحميد والتسبيح وغيره .

ومنه الحروف المقطعة وذلك نحو قوله تعالى (الم) لم تأت هذه الحروف عبثا وبدون معنى بل جاءت لمعنى إعجازي يفسر على مدى تعدد ألازمان والأحوال [4]

وكما معلوم أن القرآن جاء تفسيرا لكل شئ وتبيانا له قال تعالى(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء:١٩٥) بل إن الزمخشري أشار إلى أهمية ورود الحروف في القرآن وإنها أدت معاني متعددة إذ قال"إذا نظرت في هذه الحروف وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف المهموسة نصفها والمجهورة نصفها وكذلك الشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقلة ثم إذا استقريت الكلام وتراكيبه رأيت الحروف هذه أكثر ورودا واستعمالا من التي ألغى الله ذكرها فسبحان الذي دقت في كل شئ حكمته "[5] فقد جاءت هذه الحروف المقطعة مفتاحا لعلم الأصوات وما يتعلق به من مخارج وصفات وخواطر.وربما جاءت الفواتح ايقاضا وإعلاما .أن هذا القرآن من عند

---

[1] لسان العرب :٣ /٣٠٨

[2] علم المعاني:عتيق ٤٦

[3] معجم المصطلحات البلاغية :احمد مطلوب – ٢ ٤٦٤ وقيل التعريفات- للجرجاني ص١٠١

[4] سورة هود دراسة لغوية/١٦ أطروحة دكتوراه – عبد الكريم ناصر محمود

[5] الكشاف :١٣/١ /١٤٠ وقد اختصره الزركشي في البرهان:/٦٦/١وينظرا للإعجاز البياني:١٢٧

الله تعالى لان تأدية الألفاظ في القرآن يتم بأسمائها .ومن أروع ما يشار إليه في ذلك هو التوافق والتناسب بين ذكر الحروف المقطعة وبين ما يرد في السورة – أي سورة – من ألفاظ تناسب الحروف كالمناسبة الواردة في سورة(ق)[1] وسورة (ص) وقد أشار الشيخ سعيد حوا إشارة لطيفة في هذا الصدد من ذكر الفواتح يقوي علاقتها بعلم التناسب .إن الحروف المقطعة تدل على تماسك الوحدة القرآنية [2] وان تلك الحروف قد أسهمت

في ترسيخ فكرة الوحدة القرآنية ,فالحوا ميم مثلا لهم رابط يربط بعضهم الآخر وسورة (الر)كذلك وهكذا.

والخلاصة في هذه الحروف أنها للإعجاز ولكن لا يتعين في تفسير واحد للحروف بل هو سر الهي تحدد في إظهار إعجاز القرآن .بان فسرت الحروف أنها علامة تنبيه وإيقاف للسامع فهو كذلك وان فسرت أنها علامة للسورة لموضوعها واسمها ودلا لتها على الحروف والكلمات فهو كذلك وان فسرت أنها دلالة للوحدة القرآنية فهو كذلك . أو تدور حول محور عددي معجز فهو كذلك[3].

ولا بد من الإشارة أن بعض السور لا تتحدث عن القرآن بعد الحروف وهي قليلة منها سورة مريم والروم والعنكبوت والقلم لحكمة أرادها الله ولما يحتمه موضوع السورة عليه.

وأما الثناء على الله تعالى فأعلى مراتبه التحميد وقد ابتدأت خمس سور في القرآن بالتحميد سورة الفاتحة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة:٢) والأنعام (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام:١) والكهف (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) (الكهف:١) وسبأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

---

[1] بدائع الفوائد :١٧٣/٣ – وابن القيم وحسه البلاغي:٤٠- ٤١

[2] ينظر الأساس في التفسير :٧٨/١, ٨٠ وينظر سورة هود دراسة لغوية.

[3] سورة هود :١٩-٢٠

الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (سبأ:١) وفاطر (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فاطر:١)

والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها [١] سواء كان هذا الثناء باللسان على جهة التعظيم أو بالقلب على جهة الإجلال والتقديس أو بالجوارح على جهة التعبد والانقياد .

والحمد والمدح والشكر ألفاظ مترابطة بينها عموم وخصوص فالمدح اعم من الحمد والثاني اعم من الشكر لان المدح شامل للعوام والخواص وللعاقل وغيره والحمد لا يكون إلا لله على وجه التوحيد والعبودية سواء كان بنعمة أو بغيرها والشكر لا يكون إلا بنعمة ويكون لله والمخلوق[٢].

ويظهر التناسب والتناسق الرفيع بين السور التي ابتدأت (بالحمد) في ضوء علم التناسب لدى أهل التفسير فقد ذكر الرازي[٣] الترابط بين سورة الفاتحة من جانب والسور الأربع الأخرى فقد ابتدأت بـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)وكلمة الرب تعني المالك والمتصرف ,وأما(الْعَالَمِينَ)فهو كل ما سوى الله عز وجل من المخلوقات من الأجسام والأعراض ,وأما في الأنعام فقد ابتدأت بـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام:١)

وهنا يتناول الافتتاح بما يتعلق بالسماوات والأرض والظلمات والنور وهو قسم من أقسام ما ذكر في الفاتحة (الْعَالَمِينَ)أي انه جزء من كل ما سوى الله تعالى .

وأما في الكهف فقد ابتدأت بـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) (الكهف:١) فان الكتاب سبب للفهم والمعرفة والتربية والرقي والمدنية فهو إذن

[١] حاشية شيخ زاده :٢٩/١
[٢] الرازي:١
[٣] الرازي:١٣٩/١

إشارة إلى التربية الروحانية الاجتماعية والسلوكية , وهذا يدخل ضمن المقصود من كلمة (رَبِّ الْعَالَمِينَ)ففيها معنى التربية بأنواعها فقد جاءت الكهف لتدل على جزء من الفاتحة. وأما سبا فقد ابتدأت بـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (سبأ:١)

وتعني أن الله يملك كل ما في السماوات وما في الأرض و هذا أدق من الأنعام لان النص تضمن حرف اللام وهي لام الاستحقاق والملك التي تتعلق بلفظ الجلالة فالسورة دلت على جزء ما دلت عليه الفاتحة .

وأما سورة فاطر فقد ابتدأت بـ(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فاطر:١) مبتدئها ومبتدعها وكلا المعنيين ينتميان إلى كلمة (رَبِّ الْعَالَمِينَ) الواردة في سورة الفاتحة .من ذلك يتبين مدى الترابط الوثيق والتناسق البديع بين السور الخمس المستهلة بالحمد لله .

ومن الاستهلال بالثناء ابتداء بعض السور بكلمة (تبارك) قال تعالى(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الملك:١) وقال تعالى(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان:١) ومعنى تبارك تعاظم وتنزه عن صفات المخلوقين على كل موجود أو تعاظم خير الله عز وجل .

ومن الاستهلال بالثناء على الله تعالى التسبيح ومعناه التنزيه أي تنزيه الخالق عن صفات المخلوق وعما لا يليق بجلاله سبحانه أي هو تبعيد الرب عن صفات البشر[١] . دلالة المضارع على الاستمرار والتجدد في كل زمن من ألازمان أي دوام التنزيه وكماله كما ورد الاستهلال في فعل الأمر الدال على المستقبل نحو قوله تعالى(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى:١) وذلك للتأديب والامتثال فهذه سبع سور [٢] استهلت بالتسبيح ومشتقاته من (المصدر) وهو الأقوى دلالة على المعنى المراد واشمل

---

[١] التعريفات – الجرجاني :٧١
[٢] معترك الأقران - ٨٠/١

وأدوم من غيره و(الفعل الماضي)ودلالتـــه علـــى تحقيـــق التنزيـــه أزلا و(الفعـــل المضارع)ودلالته على التجدد والاستمرار و(الفعل الأمر)الدال على المستقبل الذي يؤذن في السورة بخير بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله (سنقرئك)إذ يلزم منهـــا اعتقاد تنزيه الله عن النقائص [1] والمناسب لسورة الفاتحة وأفـــاد التنـــوع بالاســـتهلال شمولية معنى التنزيه وشمولية أزمانه على الإطلاق ولم يترك احتمالا لبعض الأزمان أن يطرأ على تنزيهها أمر وهذا من رفعة إعجاز القرآن وفي فواتح السور حصرا .

ومن الاستهلال بالخبر الجملة الخبرية مطلقا وهي التي تحتمل الصدق والكذب وان احتمال الصدق والكذب في الجملة إنما يكون بالنظرالى مفهـــوم الكـــلام الخبـــري دون النظر إلى المخبر أو الواقع ,إذ لو اخذ بنظر الاعتبار ذلك لوجد أن أخباراً قطع بصـــدقها خبر السماء وأخبارا قطع بكذبها كخبر مسيلمة الكذاب الذي تعني في فـــواتح الســـور بالجمل الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب دون النظر إلى المخبر وهو الحق عز وجـــل وإنما لذات حالها كخبر يحتمل ذلك وقد افتتحت سور عديدة بذلك منها :

سورة الأنفال قال تعالى(يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَـــاتَّقُوا اللَّـــهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (لأنفال:١) وهذا الخبر لازم الفائدة [2] باعتبار المخاطب يعلم انه قد سئل عن ذلك وسورة التوبة (بَـــرَاءَةٌ مِـــنَ اللَّـــهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (التوبة:١) وهذا خبر ابتـــدائي لعـــدم علـــم المخاطب به مسبقا يسمى (فائدة الخبر).

وسورة النحل (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل:١) وسورة الأنبياء (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) (الأنبياء:١)

وسورة المؤمنون (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (المؤمنون:١) وسورة النور (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النور:١) والزمر (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (الزمر:١) وسورة محمد (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَـــلَّ

[1] التحرير والتنوير :٢٣٨/٢٠
[2] علم المعاني/ عبد العزيز عتيق

أَعْمَالَهُمْ) (محمد:١) والفتح (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) (الفتح:١) والقمر (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) (القمر:١) والرحمن(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (الرحمن:١, ٢) والقيامة (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (القيامة:١) والمجادلة (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة:١) والحاقة (الْحَاقَّةُ *مَا الْحَاقَّةُ) (الحاقة:1 ,٢) وعبس (عَبَسَ وَتَوَلَّى) (عبس:١) والبلد (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) (البلد:١) والقدر(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر:١) والبينة ()لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) (البينة:١) والقارعة(الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ) (القارعة:٢) والكوثر(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر:١) والتكاثر(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) (التكاثر:١) ونوح (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (نوح:١).

فكل هذه السور استهلت بالجملة الخبرية التي توحي إلى عدم علم المخاطب في بعضها والى علمه بها في بعضها الآخر على وفق تقسيم الخبر إلى فائدة الخبر ولازم الفائدة وقد تشمل الجملة الخبر على ما ورد في الاستهلال بالثناء كالحمد لله رب العالمين أو التسبيح نحو(يسبح) و(سبح) و(سبحان) إلا إننا أفردناها في حقل الثناء والتسبيح لما يطغى على ذلك الوصف في وضوح واستقلال وما يميل إليه من صفة الافتتاح التي تحمله بما يكسبها استقلالا عن عموم الجملة الخبرية.

<u>الاستفتاح بالتعليل:</u>

ومن أنواعه الاستهلال بالجملة التعليلية قبل المعلل من اجله ولم يرد ذلك إلا في سورة واحدة (سورة قريش) قال تعالى: (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ *إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

فقد استهلت السورة بأمر التعليل والتقدير على قريش ان تعبد الله وان تشكره لأجل إيلاف الله تعالى لهم.

الاستفتاح بالإنشاء:

والإنشاء كلام لا يحمل الصدق والكذب لذاته لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[1] ويشمل على أمور عديدة منها:

الأمر :

استهلت سبع سور في القران الكريم بصيغة الأمر وأكثر الصيغ جاء بلفظ قل نحو قوله تعالى :(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً) (الجن:١) وقوله (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) (الكافرون:١) (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص:١) وقوله (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق:١)) الإخلاص وقوله (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس:١) والأمر موجه إلى النبي محمد وكل لفظ (قل) في افتتاح هذه السور جاءت ردا على قضية طرحها المشركون تفيد التشكيك والريب وإلقاء الشبه وطرح الاعتراضات فجاء الرد الملكي في قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد لهم كذا وكذا واستهلت سورتان بصيغة الأمر من غير (قل) نحو قوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق:١) وقوله (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى:١)

ودلالة الأمر توحي بصدوره من الأعلى إلى الأدنى في كل موضع من المواضع في نصوص اللغة ودلالته على ذلك في القران أجلى لاسيما انه يصدر من المعبود إلى العبد ولابد من الإشارة إلى التناسق التام بين الافتتاح بالأمر _مجرد بالأمر_ في السورة وبين صيغة (قل) لما في الصيغة من القوة والثبات واليقين والمجابهة والوقوف على المبدأ وقد لوحظ في كل السور التي استهلت بصيغة(قل)التناسب العميق بين اللفظة ودلالتها وبين مضمون السورة وسياقها وعبارتها[2] .

---

[1] ينظر معجم المصطلحات البلاغية :٣٣٣/١

٢ ينظر السور (الجن , الكافرون, الإخلاص , الفلق , الناس)

الاستهلال بالاستفهام:

وهو مطلوب الفهم بشي لم يكن معلوما [1] معناه الاستخبار أي طلب الخبر عن شئ لم يكن معلوما لدى المتكلم وقد يكون الاستخبار تمهيدا للاستفهام أي يسبق الاستفهام استخبار عن شي وقد استهلت سور من القران بالاستفهام منها :

سورة الإنسان (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً) (الإنسان:١) وسورة الغاشية (هل أتاك حديث الغاشية) وسورة الانشراح (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح:١) وسورة الفيل :(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) (الفيل:١) وسورة الماعون:(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) (الماعون:١) وسورة النبأ:(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ*عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ) (النبأ:١و٢).

ويبدو أن الاستفهام أسلوب فني يتضمن التنبيه والإيقاظ إلى أمر مهم , والتنبيه والإيقاظ يرادان في جميع خطابات القران وبالأخص الخطاب المكي لما كان يتسم به الناس من غفلة وانشغال وجهل فيحتاجون إلى ما يحيي فيهم اليقظة والتنبيه وإثارة الحافظة وهذا ما يحققه أسلوب الاستفهام من المخاطب ولاسيما الذي افتتحت

السورة به وأكثره – الاستفهام – ب(هل) والهمزة كما هو واضح من خلال السور المبتداة بذلك وقد يأتي بغير هما كما هو في سورة النبأ(عم) أي ماهو سؤالكم ؟ أو عن أي شئ يتساءلون ؟.

الاستدلال بالنداء:

النداء توجيه الدعوة للمخاطب وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم [2] بأحد الحروف المخصوصة[3] والقران لم يستخدم من أدوات النداء في الاستدلال سوى أداة النداء (يا) ومعناه أدعو كما صرح به النحاة من أن معنى (يا) الفعل أدعو وقد جاءت عشر سور من القران مبتدئة بالنداء ب(يا) وقد اختلف المنادى ب(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

---

[1] ألصاحبي – أنباء فارس

[2] علم المعاني –د. قصي علوان١٠٤

[3] علم المعاني- عبد العزيز عتيق: ١٢٥

وبـــ(يايها الناس) ومنها ب(يايها النبي) ومنهابـــ(يايها الرسول) ومنهـــا أوصـــاف أخرى أي إن بعض النداءات جاءت تخص شخص النبي محمد منها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) (الأحزاب:١) ومنها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُـــوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) (الطلاق:١) ومنها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَـــدْ ظَلَـــمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) (الطلاق:١)

ومنها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّـــهُ غَفُـــورٌ رَحِيمٌ) (التحريم:١) ومنها (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) (المزمـــل:١) ومنهـــا (يَـــا أَيُّهَـــا الْمُـــدَّثِّرُ) (المدثر:١) .

فالنداءات الواردة في استهلال السور تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم والمنادى جاء وصفا لنبوته صلى الله عليه وسلم وما يترتب عليها من ملتزمـــات تخصـــها مـــن الواجبات في الرسالة وتبليغها وتوجيه الوحي له في مواجهة الإحداث والمواقف . ثـــم جاء الذكر يوصف المز مل وصفا لحالته صلى الله عليه وسلم بعد نزول الـــوحي عليـــه صلى الله عليه وسلم والمدثر كذلك هذا الاستهلال يوحي بظلاله على السورة وأهميتـــه موضوعها وعلاقته بالاستهلال ثم باسم السورة المذكورة (المزمـــل) و(المـــدثر) ولـــو تدبرنا تركيبة جملة النداء في السورة العاشرة[1] التي ابتدأت بالنداء لوجد أنهـــا جملـــة توحي بالا يقاض والتنبيه للمخاطبين في أهمية الموضوع الذي يلقـــى إلـــيهم وجديـــة الخطاب الموجه إليهم فان أداة (يا)للبعيد والمنادى الوارد في الســـور (النـــاس ,الـــذين آمنوا,النبي,المدثر,المزمل) للقريب ويراد به التودد والتحذير والقربة.

[1] سورة النساء,المائدة,الحج,الأحزاب ,الممتحنة,التحريم ,الطلاق ,المدثر ,المزمل ,الحجرات .

وهذا يتنافى مع البعد الموجود في دلالة أداة النداء (يا) إذ انزل القريب منزلة البعيد وأصبح الاستبدال في الرتبة زيادة في الإيقاظ وإيغالا في التنبيه ليتحقق الهدف من إيصال فحوى الخطاب إلى المتلقي وهي مجموعة أوامر ونواهي استهلها القرآن في بعض السور .والتنوع في الاستهلال في بالنداء جلي وذلك تبعا للمخاطبين وموضوعية الخطاب وخشية السأم .

الاستهلال بالقسم:

القسم أسلوب من أساليب توكيد الحكم الوارد في الجملة وتثبيته وتقريره[1] والقسم يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئا يخبر عنه في إيجاب أو غيره ,والقسم جملة يؤكد بها جملة أخرى[2] والقسم عند النحاة أركان :حرف قسم ومقسم به ومقسم عليه ومنهم من زاد مقسم عنده وزمان القسم ومكانه [3] وحروفه الباء والتاء والواو ولم يرد الاستهلال بالقسم في القرآن إلا بحرف الواو.

وقد استهلت خمس عشرة سورة في القرآن الكريم [4] وقد تنوع القسم به من قبل الحق عز وجل فورد بعضه بالقسم بالملائكة دلالة على عظمة خلقها وقدسيتها ,وبعضه بالزمان _بأوقاته_ وذلك لأهميته في حياة الناس وبعضه بنوع من المخلوقات .

فأما الملائكة فمنها (وَالصَّافَّاتِ صَفّاً) (الصافات:١) اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم ,ومعنى الصافات :أقدامها[5] في الصلاة من قوله تعالى (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) (الصافات:١٦٥) ومثلها (والنازعات)[6] (والمرسلات) فالملائكة لهم أوصاف عديدة جاء الاستهلال بالسور التي ذكرتهم متنوعة وفق أوصافهم وسارت الآيات في السورة المستهلة بها وفق دلالة معانيها.

---

[1] الشاهد في القرآن/ متبني.ص ٤٤٢
[2] اساليب القسم في اللغة العربية ج١ ص٣٠ بتصرف.
[3] في التحليل اللغوي – د.خليل عمارة – د سلمان حسن العاني – ص٢٤٧
وهي(الصافات,البروج,الطارق,النجم,الفجر,الشمس,الليل,الضحى,العصر,الذاريات,المرسلات,
[4] الطور,التين,النازعات,العاديات)
[5] تفسير الكشاف /الزمخشري :٩٠١
[6] ورد عن بعض المفسرين أنها الملائكة - .ينظر صفوة التفاسير :٥١٣/٣

- ومنها الاستهلال بالقسم بالكواكب وأفلاكها وما يتبعها من أصناف وأوصاف ومن غيرها من المخلوقات التي تضفي بالسلطان والقدرة والعظمة في خلقها قال تعالى(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (البروج:١) فيها دلالة على مخلوقية السماء في الوقت الذي اعتقد قوم أنها آلهة تستحق العبادة .وقد تكلمت السورة في آياتها عن أحداث تأريخية وقعت وصفت أنها عظيمة المواقف شديدة الأذى لأهل الأيمان والتوحيد ,فقد جاء القسم معظما المقسم به ومتناسبا مع الأحداث التي فصلتها السورة[١] .
- ومنها قوله تعالى (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) (الطارق:١) يتظمن القسم هذا مشهدا كونيا مشيرا إلى حقيقة إيمانية [٢] وذلك في المشهد الكوني (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)وما يتبعها من أحداث وحركات ودقة خلق وانضباط مسار ,وان الله تعالى هو الخالق وهو القائم على المخلوقات بالحفظ والتدبير والرعاية والتصرف دون تصادم أو انفلات أو فوضى .

ومثله قوله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) (النجم:١) ,(وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ) (الفجر:٢), (وَالْعَصْرِ) (العصر:١) والناظر لهذه الأقسام يرى كيف أن الله تعالى أعطى للوقت أهميته في حياة الناس إذ اقسم بجميع الأوقات على اختلافها وفي مواضع متعددة أو اغلبها دلالة على أهميتها وتنوعا في الأسلوب ومناسبة في المدلول لموضوع السورة التي ضمت القسم[٣] .

ومنها القسم بالليل دلالة على العظمة والقدرة لأنه يغشى الشمس والأرض والوجود والناس. والقسم بالضحى دلالة الإشراق والابلاج والوضوح في الوجود ومثله في المنهج والدعوة والنبوة . والقسم بالعصر يشير إلى الأعاجيب في الوجود من سراء وضراء وصحة وسقم وغنى وفقر وعز وذل لاشتماله عليها[٤].

---

[١] في ظلال القرآن- سيد قطب:٣٨٧٢/٦
[٢] المصدر نفسه.
[٣] اذ اقسم الله تعالى بالفجر والليل والضحى وغيره من الاوقات.
[٤] وهبة الزحيلي: ١٥/٧٨٦

وهكذا تلون الخطاب القرآني حتى في الفن الواحد يغير في الأسلوب والصبغة والموضوع والخطاب.

- وقد يكون الاستهلال بالقسم ببعض المخلوقات منها الرياح قال تعالى(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً) (الذاريات:١) ,(وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً) (المرسلات:١) [١] فالذاريات هي الرياح التي تذر المطر أو التراب أو النبات إذا تهشم قال تعالى (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً) (الكهف:٤٥) واقسم الله بالطور (وَالطُّورِ*وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ) (الطور:٢) وهو الجبل [٢] الذي كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام واختاره الله تعالى لهذا الأمر. ومنها القسم بـ(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً) (العاديات:١) وهي الخيول [٣] السريعة في وسط المعركة ومنها القسم ببعض النباتات قال تعالى (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) (التين:١) وفيها الإشارة إلى موضعين مقدسين الأول تينا وهو الجبل (جودي)الذي نزل عليه نوح عليه السلام والثاني بيت المقدس ويسمى طور زيتا .

- لقد تلون أسلوب القسم في استهلاله لبعض السور بطبيعة البلاغة القرآنية والتلون والتنوع يدل على استيعاب الدرس اللغوي للقسم في أنواع المقسم بهم فمرة الملائكة والأزمان والنبات والرياح والجبال ايماءً إلى عظمة الحق عز وجل ودلالة على أهمية وقدسية المقسم به حسب جنسها والمناسبة بين الاستهلال بنوع من المقسم بهم وبين وجه السورة بارز واضح في كل سور القرآن .

---

[١] عند من يقول أن المرسلات هي الرياح
[٢] البيضاوي :٤٣٣/٢
[٣] المصدر نفسه :٦١٥/٢

- الاستهلال بالشرط :

الشرط تعليق شئ بشئ بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني وقيل الشرط ما يتوقف عليه وجود الشئ [1] , وقد استهلت سبع سور من القرآن بالشرط وهي (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) (الواقعة:١) و(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (المنافقون:١) و(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (التكوير:١) و(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) (الانفطار:١) و(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) (الزلزلة:١) و(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر:١) هذه السور التي استهلت بالشرط غير الجازم بأداة الشرط(إذا) التي اتفق عليها النحاة على إنها ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط غير الجازم.[2] وتنوع الذي وقع بعد (إذا) فمنها الواقعة ومنها السماء ومنها الشمس ومنها الأرض ومنها نصر الله . فالسماء :إذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت تناظر في الافتتاح وذلك للتشويق إلى الخبر والاهتمام به .والانشقاق والانفطار شئ واحد يدل على تأثر

السماء في ذلك اليوم وهو في المستقبل من الزمان وعند قيام الساعة تحديدا, وأما الشمس (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) أي ذهب ضوئها واضمحلت وهذا في آخر الزمان أيضا .وأما الواقعة فقوله تعالى (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) (الواقعة:١) وهي القيامة وقوعها تحقق مجيئها وأحقية وقوعها وحلولها على هذا الكون .والأرض زلزلت أي أصيبت بالزلزال ,ومجئ نصر الله هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد عن ابن عباس ذلك .ونلاحظ من ألازمان المستقبلية التي جاءت فمنها زمن مستقبل في أواخر الزمان عند قيام الساعة ونهاية الكون وهذا الميقات النهائي وزمن مستقبل في وقت قريب كقوله تعالى (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) وفيه معنى الزمن المستقبل إذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أواخر الكون وقرب زواله .

---

[1] التعرفات – الجرجاني :١٣١
[2] مغني اللبيب :٩٢/١

فالسكون والتنويع في اللفظة عند الاستهلال تنويعاً في المعنى وتلوينا في الموضوع خشية السأم والضجر والملل في الأسلوب .

– الاستهلال بالدعاء

والدعاء هو الرغبة إلى الله تعالى دعا دعاءً ودعوى والدعاءة :السبابة [1] وفي الاصطلاح :الطلب وفي الشرع :قول يطلب فيه الإنسان إثبات حق على الغير [2] وقد استهلت ثلاث سور من القرآن الكريم [3] بالدعاء نحو قوله تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) (المطففين:١) والويل: الدعاء بالعذاب [4] والإنذار بسوء الحال وقد بدأت السورة بالاخزاء للمطففين بالدعاء عليهم بالويل وهو من براعة

الاستهلال في افتتاح أغراض الذم كما افتتحت أغراض المدح بألفاظ الكرامة [5] بالبشر والطوبى قال صلى الله عليه وسلم (طوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر .....الحديث)[6] ومثله قوله تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) (الهمزة:١)إذ افتتاحها بلفظ الويل تشئيماً لهم .

ومن الاستهلال بالدعاء قوله تعالى(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة:٧٥)

وأسلوب هذه السورة أسلوب أهجائي بحيث افتتحت بما يؤذن بالندم والشتم ولم تصرح بالاسم بل اكتفت بالكنية لما فيها من التورية بالوعيد .

الفن التناسبي بين الفواتح والخواتيم للسور القرآنية

بعد أن أبرزنا الجانب الفني الاعجازي لفواتح السور القرآنية وتشكلها وأنواعها وتكون خطبائها من خبر ونداء واستفهام وقسم وغيرها وتحققت لدينا ظاهرة التلون

---

[1] القاموس المحيط :٤/٣٢٧
[2] التعريفات :الجرجاني :١٠٩
[3] المطففين ,الهمزة ,المسد
[4] الزحيلي :١٥/٤٨٤ – صفوة التفاسير :٣/٥٣١
[5] التحرير والتنوير :١/٢٠١ - ٢١٠
[6] المصدر السابق :١/٣٦٨-٣١٠

الاستهلالي للقرآن والتنوع الإبداعي لفواتح السور واشرنا إلى حقيقة الاستهلال باللون البلاغي أو الأسلوبي وما يضفيه من دلالات أسلوبية على السورة بأكملها لابد أن تقف عند الفن الآخر للفواتح باجتماعها مع الخواتيم . باجتماعها مع الخواتيم فكل سورة افتتحت بخطاب له مناسبة بالخاتمة في السورة التي قبلها.

والمناسبة قد تكون (بالموضوع) وتسمى المناسبة الموضوعية وذلك بالتناسب بين خواتيم السور وفواتحها وهو كثير , ويتنوع الموضوع في حقيقته ودلالته

فربما يقصد بالموضوع في الكلام على أمر عقائدي أو إيماني أو أخلاقي أو سلوكي كالتناسب في الخاتمة من سورة آل عمران والافتتاح من سورة النساء فقد اختتمت الأولى بالأمر بالتقوى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران:٢٠٠) وابتدأت الثانية بالأمر بالتقوى كذلك)يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج:١) وهذه مناسبة موضوعية موضوعها التقوى وتنوعت في الخطاب فالخاتمة كان خطابها-الآية – للذين آمنوا والابتداء كان خطابها للناس .

ومثله ما اختتمت المائدة به من قول النصارى في المسيح وأمه من كونهما الهين استهلت الأنعام بتوحيد الله وذلك بذكر الحمد له سبحانه وذكر وصف الخلق والإيجاب له جل جلاله فله الحمد وله صفة الخلق والجعل[1] – الإيجاد والخلق .

ومثله ما ختمت الأنعام به من ذكر مفردات التكاليف والتشريعات وما استهلت به الأعراف من إجمال التكاليف والتشريعات ,وتسمى المناسبة الموضوعية ههنا بالتلازمية والتلازم واضح بين التفيصل – في ذكر أحوال التكاليف الشرعية من ابتلاء وإنعام واستخلاف- والإجمال – في ذكر الكتاب الذي يجمع هذه التكاليف وهو القرآن الكريم . وقد يكون التلازم في التناسب تلازم الحال وذلك في تشابه الأحوال والمواقف كالخاتمة

[1] البحر المحيط:٦٧/٤

التي في سورة الأعراف ببيان حال اشهر الرسل مع أقوامهم[1] والافتتاح في سورة الأنفال ببيان حال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومثله مناسبة الحال بين الخاتمة والاستهلال في حال أقوام مر ذكرهم في الخاتمة في حال العذاب وذلك لتكذيبهم بالرسالة والنبوة والقرآن

كما في خاتمة سورة الفرقان (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً) (الفرقان:٧٧) وافتتاح سورة الشعراء بتلهف النبي صلى الله عليه وسلم أن يكونو مؤمنين مهتدين فبعد أن بين حال عاقبة تكذيبهم في الخاتمة استهل السورة الأخرى بحرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمانهم .

وقد تكون المناسبة بين الخاتمة والاستهلال مناسبة المبين للمبهم والمفصل للمجمل أي ما ورد في خاتمة السورة مبهما مجملا عاما ورد في فاتحة السورة التي تليها مبيناً مفصلاً خاصاً ويعد هذا التناسب تلازميا أيضا نحو قوله تعالى في أواخر الزخرف (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) (الزخرف:٨٣) فذكر اليوم غير معين أي نكرة والنكرة تحمل الإبهام في أوصافها , إذ لم ترد سمات اليوم وصفاته وملامحه في الوقت الذي استهلت سورة الدخان بما يوضح ملامح اليوم ويتعرض لسماته قال تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) (الدخان:١٠)فقد وصف اليوم أن السماء تأتي فيه بدخان مبين وان العذاب يأتيهم ويحل بهم في الدنيا – إذا كان اليوم في خاتمة السورة من أيام الدنيا – وان كان من أيام الآخرة فالدخان والعذاب عند قيام الساعة وعند أهوال القيامة فيكون قوله يومهم في سورة الزخرف من أيام الآخرة[2] .

فمن التلازم في التناسب التكملة في الافتتاح لما ذكرته الخاتمة فقد جاءت الفاتحة مكملة موضحة مؤكدة للخاتمة في السورة السابقة وذلك نحو قوله تعالى في سورة الحج(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج:١)جاءت بعد خاتمة سورة الأنبياء ببيان حال الأشقياء والسعداء وذكر الفزع الأكبر في توالي

---

[1] التفسير المنير :الدكتور وهبة الزحيلي ٥/٢٤٩

[2] البحر المحيط :٣٢/٨

الصفات لذلك اليوم في كلا السورتين بما يدعوا إلى التكملة والإتمام في الوصف فبد إن وصفه بالفزع الأكبر في الخاتمة افتتحه بوصفه بالزلزلة والشئ العظيم .

بعد هذا التفصيل في التناسب الموضوعي بين الخاتمة والافتتاح يتجلى أمر التناسب في نوعه الآخر (بالتناسب اللفظي)وذلك بين آخر كلمة في الآخرة وأول كلمة في الاستهلال فقد جاء في خاتمة الحج (لعلكم تفلحون)وجاء في ابتداء سورة المؤمنون (قد افلح المؤمنون) فالمناسبة بين(تفلحون ,افلح) واضحة جلية مع لوازمهما فالفلاح في الأولى كان من دواعيه الركوع والسجود والعبادة والفلاح في الثانية كذلك , ومثله كثير. كخاتمة سورة الإسراء (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) (الإسراء:١١١) وفاتحة سورة الكهف (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا) (الكهف:١) فالحمد واحد في اللفظ والمضمون لله سبحانه وتعالى والتكامل في المناسبة بين الاختتام والافتتاح واضح في سلب الولد والشريك والولي عن الله المستحق للحمد في الخاتمة وإسناد صفة الإنزال للكتاب إلى الله تعالى المستحق للحمد – كذلك– في الافتتاح.

وقد يكون التناسب بالأسلوب فقد ختمت سورة آل عمران بأسلوب النداء بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران:٢٠٠) وابتدأت النساء بالأسلوب نفسه كذلك مع اختلاف في المنادى الأول المؤمنون والثاني الناس.

وقد يكون التناسب في وحدة الشخصية التي يدور حولها موضوع الخاتمة والافتتاح فقد ختمت سورة النور بنهي من الله تعالى للمؤمنين(لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور:٦٣) لما فيه من الإجلال والتعظيم والتوقير لشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفة أمره لئلا تصيبهم الفتنة أو العذاب , ناسب ذلك أن تفتتح سورة الفرقان بوصف النبي محمد صلى الله

عليه وسلم بالعبدية بقوله (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) (الفرقان:١) وهي اجل مرتبة وأشرفها عند الله .

ومن التناسب أيضا التناسب القصصي بين السورتين كما في أواخر سورة هود وأول سورة يوسف ,فقد جاء في خواتيم سورة هود (وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (هود:١٢٠) وافتتحت سورة يوسف بقوله تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (يوسف:٣)

فقد صرحت السورتان بلفظ القصص في كلا الموضعين وذلك بعد تفصيل لقصص عديدة للأنبياء والأقوام في سورة هود ناسبها أن تفتتح سورة يوسف بذكر قصة نبي الله يوسف عليه السلام.

الخاتمة

من خلال الدراسة المتواضعة للجوانب الفنية والدلالية والوقفات اللغوية لفواتح السور والتناسب الفني بين الخواتيم والفواتح توصل البحث إلى النتائج الآتية.

١. إن لغة القرآن الكريم لها الذروة في الفن والبلاغة من خلال التنويع والتلون في الاستهلال وأنواعه من النداء والاستفهام والقسم والدعاء والخبر وغيره .
٢. ان الاستهلال بالقسم بالأوقات والأزمان عم جميع الأوقات دلالة منه إلى عظمة الوقت وأهميته في القرآن .
٣. الحروف المقطعة لها دلالة اعجازية عظيمة في إبراز إعجاز القرآن وان ذكر الحروف المقطعة لها علاقة واضحة بمضمون السورة التي وردت فيها .
٤. التناسب فن عظيم من فنون القرآن الكريم وقد لمع بارزاً بين الخواتيم للسور وفواتيحها وقد تخصص مجموعة من المفسرين بهذا الفن وأظهروه كعلم أصيل وفن بلاغي عظيم معجز في التناسب بين خاتمة السورة وفاتحة الأخرى في الترتيب القرآني.
٥. شمولية فن الاستهلال لكل أنواع الأساليب اللغوية والبلاغة من خلال الخبر وأنواعه والإنشاء وأنواعه .
٦. علم التناسب علم لا تنقضي عجائبه ويفتح أبواباً عظيمة للدارسين والباحثين تكون نواة بحث وتطور في علم اللغة والتفسير.

قائمة المصادر

١.الأساس في التفسير – سعيد حوى –دار السلام للطباعة والنشر – ط١/١٩٨٥م.
٢. أساليب القسم في اللغة العربية – د.ناظم فتحي الراوي– ط/٣ – ١٩٧٤
٣. بدائع الفوائد – الإمام ابن قيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت – إدارة الطباعة المنيرية .
٤. البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي – المكتبة العصرية – بيروت – تحقيق محمد أبو الفضل – .١٩٧٢
٥. التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور – الدار التونسية – ١٩٧٦ م.
٦. تفسير البحر المحيط – محمد بن يوسف الاندلسي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ط/٢ – ١٩٧٨ م.
٧. التفسير الكبير (مفاتح الغيب) – محمد فخر الدين الرازي – طبعة طهران
٨. .التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د.وهبة الزحيلي – ط/٢ – ٢٠٠٣.
٩. التعريفات – علي بن محمد الشريف الجرجاني – مكتبة لبنان – بيروت
١٠. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – .١٩٦٧
١١. حاشية شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي – شيخ زاده – طبعة بولاق – القاهرة.
١٢. ألصاحبي – احمد بن فارس – تحقيق مصطفى الشويعي _مؤسسة بدران – ١٩٦٣م.
١٣. صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – دار القرآن الكريم – بيروت
١٤. علم المعاني – د. قصي سالم علوان – ط/١ – مطبعة البصرة – ١٩٩٣
١٥. .علم المعاني في البلاغة العربية – د.عبد العزيز عتيق – ط/٣ – ١٩٧١ – بيروت.
١٦. القاموس المحيط – محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – المكتبة العصرية .

١٧. لسان العرب – جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ابن منظور) – طبعة بولاق – القاهرة.

١٨. معترك الأقران في إعجاز القرآن – جلال الدين السيوطي– دار الكتب العلمية – بيروت – ط/١ – ١٩٨٨

١٩. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – د.احمد مطلوب – دار صادر – بيروت.

٢٠. مغني اللبيب – جمال الدين بن احمد ابن هشام الأنصاري – مطبعة المدني– القاهرة – ١٩٦٨.

٢١. سورة هود دراسة دلالية ولغوية –أطروحة الدكتوراه – الباحث عبد الكريم ناصر محمود الخزرجي – كلية الآداب – جامعة البصرة – ٢٠٠٠م.